من الصفر الى الصفر

قصص يرويها الشوق والحنين لذاك القمر الحانق بلياليه الطوال التي غابت عنها راحة البال وتلك الروابي اليابسة الصفراء، وبقايا أوراق في ذاكرتي تلك التي سجلها فارسي تحت قمر بحجم رأسي بليلة اللقاء الأخير، طالت الأيام وبعدت عني على امتداد طريق أسود يلفه الشوك حيث راقبتها وهي تغرب، اشتاق لتلك الحروب التي خاضها ذاك الفارس الذي خطفه سلك رفيع من أسلاك السماء، اشتاق لرائحة سترته التي أضحت سرابًا وثيابه التي تشبه السندباد، اشتقت إليكِ أيتها الدماء وما غطيتهِ من حد سيفه أكثر من أي وقت مضى لأنكِ تذكرينني بليالي الحرب التي خاضها بحد السيوف، والتاع شوقًا لنور البدر على صخرة لوثتها الطيور، وعشبٍ، وبقايا ماءٍ وطعام، كان فارسي مغواراً شديد البأس لا يهاب الحرب، كنت أتتبعه على جوادي على طريق أشبه بطريق الحرير، يخطف جواده طريق ممتد للأعالي بسرعة تشبه البرق فتنحني الأفرع وتتطاير الأوراق من على أغصان الأشجار.. الصندل والغاب وضجة العصافير والعزلان، هي قصة بامتداد ألفي شهر وثلاثة ليالي، خضنا خلالها حروبًا عدة ليشدني الحنين لصوت سيفه الهامس والمزعج أحياناً، الفضي اللون، البراق، حروبه تلك لن

يذكرها الزمان من بعدي، كان يخرج معي على طريق لقصور بعيدة قائمة على تلال رسمها الغيم تحفها ضفاف النهر، وأشجار نبق تكفينا من قرصات الجوع، وخشونة الحياة، كنت أشرب الماء من خفٍ ذهبي له لم يشأ أن يلبسها في ذاك الزمان، لأسقط كورقة من أصل شجرة تشتاق لكل تلك الليالي والأيام، حياة الضيق والفقر، حياة اليأس والأمل والنضال، الشوق للانتصار والفرح، حياة لم يشُبنا شك بأنها ستزول، الآن آلت لحال غير الحال أقف على سريرٍ لي من الحرير أتطلع لنافذة تطل على سماء قدر يجمع الشرق والغرب، أدونها بمشاعرٍ تفيض من الحزن والأحاسيس على صفحة تبتعد أظنها سراباً، تلوح بالأفق الغارب اللحظات التي أحرقت رموشي بلهيبها، ويعذبني الماضي بما يحويه من حنين، تعذبني كلمتان أحداهما كنّا، والأخرى كان، وقائع تمنيتها، لطالما رأيتها وحدي في بساتين الواقع، لتتحقق كلها ولكن في الخيال.